

عصمة الأنبياء في القرآن الكريم

(156) وهذه الجمل الأربع تعرب عن كون القتل أمراً غير مشروع، ولاجل ذلك وصفه تارة بأنّه من عمل الشيطان، وأُخرى بأنّه كان ظالماً لنفسه، واعترف عند فرعون بأنّه فعل ما فعل وكان عند ذلك من الضالّين ثالثاً، وطلب المغفرة رابعاً. أقول: قبل توضيح هذه النقاط الأربع نلفت نظر القارئ الكريم إلى بعض ما كانت الفراعنة عليه من الأعمال الاجرامية، ويكفي في ذلك قوله سبحانه: (إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّ نَرَّهُمْ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ)(1)، ولم يكن فرعون قائماً بهذه الأعمال إلاّ بعماله القبطيين الذين كانوا أعضاده وأنصاره، وفي ظل هذه المناصرة ملكت الفراعنة بني إسرائيل رجالاً ونساءً، فاستعبدوهم كما يعرب عن ذلك قوله سبحانه: (وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عِبَدْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ) (2) ولمّا قال فرعون لموسى: (أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا)(3) واستعلى عليه بأنّه ربّاه وليداً منذ أن ولد إلى أن كبر... أجابه موسى بأنّه هل تمن على بهذا وقد عبت بني إسرائيل؟ وعلى ذلك فقتل واحد من أنصار الطغمة الاثيمة التي ذبحت مئات بل الآف الأطفال من بني إسرائيل واستحيوا نساءهم، لا يعد في محكمة العقل والوجدان عملاً قبيحاً غير صحيح، أضف إلى ذلك أنّ القبطي المقتول كان بصدد قتل الإسرائيلي لو لم يناصره موسى كما يحكي عنه قوله: (يقتتلان)، ولو قتله القبطي لم يكن لفعله أيّ رد فعل، لأنّه كان منتتماً للنظام السائد الذي لم يزل يستأصل بني إسرائيل ويريق دماءهم طوال سنين، فكان قتله في نظره من قبيل قتل الإنسان الشريف أحد عبيده لاجل تخلّفه عن أمره. إذا وقفت على ذلك، فلنرجع إلى توضيح الجمل التي توهم المستدل بها _____ 1. القصص: 4. 2. الشعراء: 22. 3. الشعراء: 18.